لأنني أنا

لمبس بوزرورة

قصة قصيرة

أنا لأنني

لميس بوزرورة

إهداء

لكلِّ فتاةٍ تشبهني

في يومٍ ممطرٍ مرير،

أنتظرك في المكان ذاته،

أنتظرك بقلبٍ يحترقُ ببطءٍ أليم،

بنارِ الحنين.

تحومُ ذكرياتنا حولي كظلالٍ في ليلةٍ مشمسة، تُذكّرني بأوقاتٍ جميلةٍ عصيَّةِ النسيان، وتزيدني ألم على غيابك.

يتسلَّلُ الظلام ويخترق أعماق قلبي، لأجدُ نفسي مغلقة العينين وأستمع إلى صوتِ المطر وكأنَّهُ يسرد قصَّة حُبّنا المفقودة، أتمنَّى لو أنَّكَ تعود، لأعيد بناء عالمي من جديد، لأعيد بناء عالم السعادة الذي انهدم برحيلك، ولأمسح دموع السماء وأعيدُ الفرحة للأشجارِ والطيور، لكن هذا الأمل مدفونٌ في أعماقِ قلبي الكئيب، وأنتَ تبتعد عنّي أكثر فأكثر، وأنا هنا أنتظرك، بانطفائي، بلا أمل، سأبقى أتردَّدُ إلى هنا حتَّى يأتِ اليوم الذي سنلتقي به.

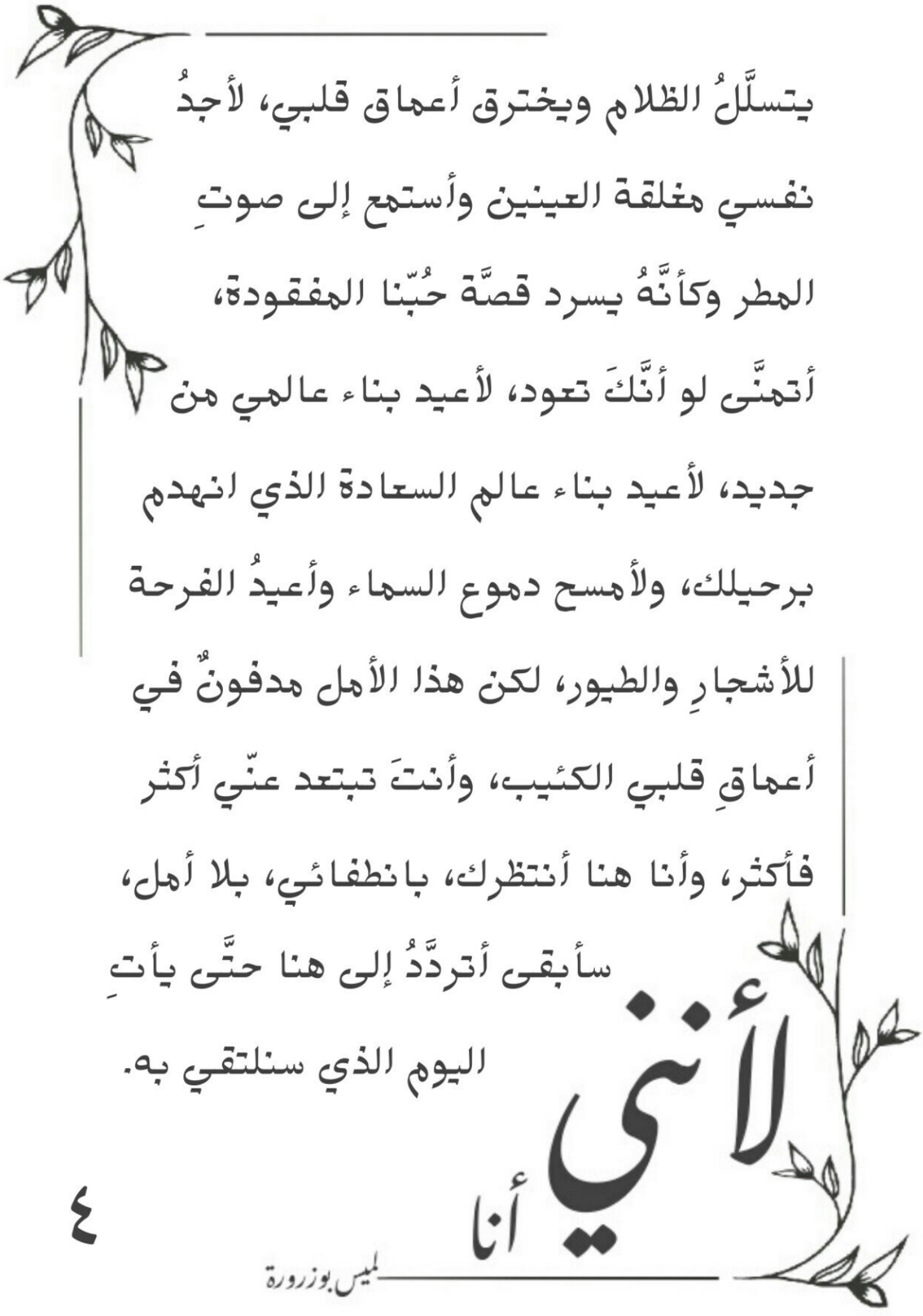

"وعدتك بانتظارك"

قلتها بصوتٍ خافت خشيةً أن يسمعني أحد ويشمت بي.

تربث امرأة متقدمة السن على كتفي، أجاد الزمن رسم ملامحها بعناية، سَمِعَت ما قلته، وشَعَرَت برجفةِ قلبي المخذول، في تلك اللحظة، أخرَجَت من حوزتها وردة، مدّتها إلي ثمَّ تحدَّثت بصوتٍ يملؤه الحنين:

_ألم يأتِ بعد يا جميلتي؟

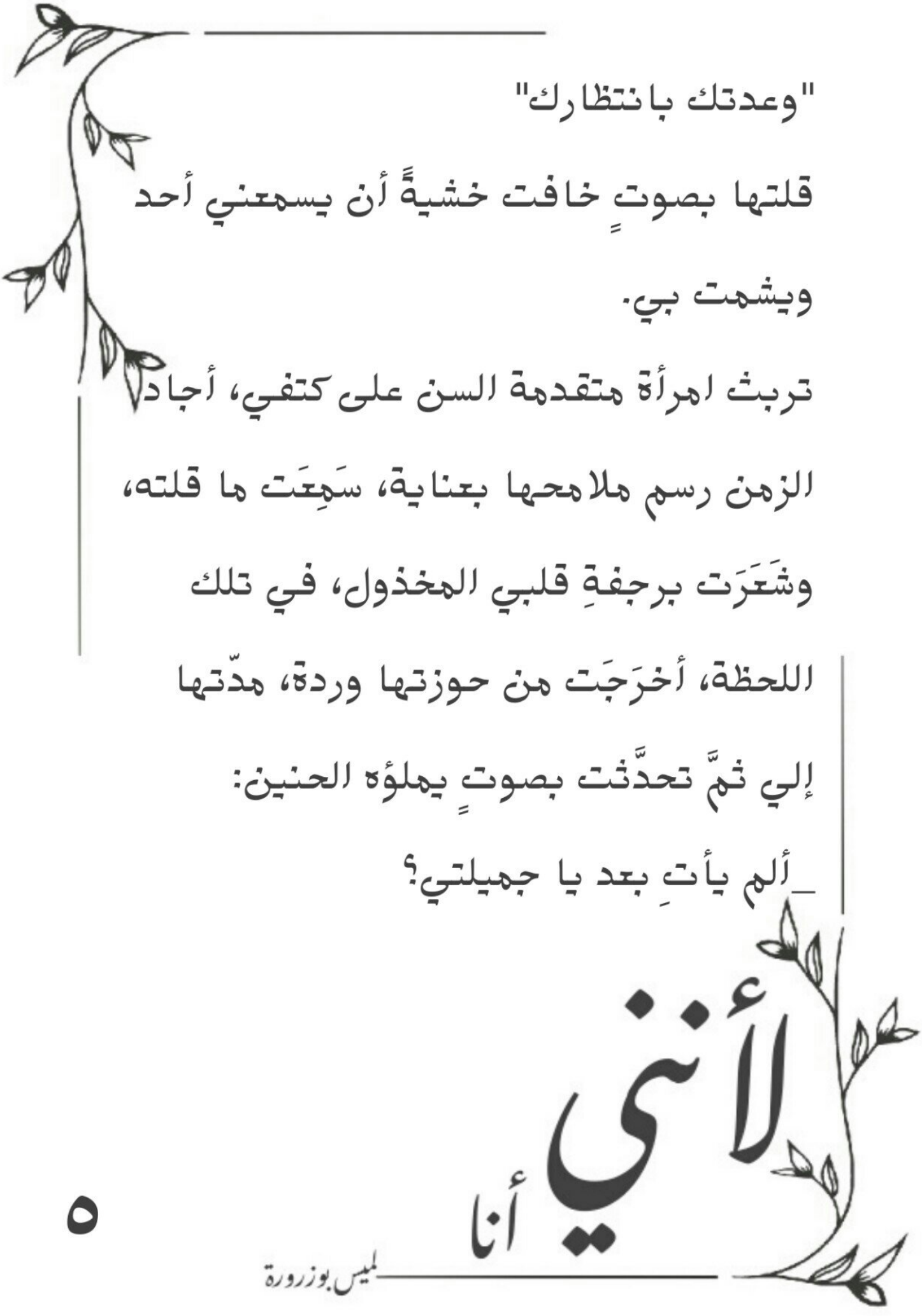

عانقت تلك الوردة، وبينما يتساقط الدمع على خدي، أجبتها دون أن أنظر إليها، بكسرةِ قلب:

_لقد انتهى هذا اليوم، بمرارته وألمه، رحلات اليوم قد انقضت دون أن يحمل لي ما أنتظره وأتوق إليه.

وبعدها انتهيت، نظرتُ إليها، كانت تراقب خيبة عيناي الشاحبة ورجفة شفتاي أثناء حديثي لها، هزَّت رأسها إلى أسفلٍ وأعلى ثمَّ قالت:

_افعلي الأسوء يا عزيزتي، افعلي الأسوء.

قالت هذه الكلمات ثمَّ غادرت المكان، لكن ما الذي تقصده في هذه الكلمات؟! وما الذي سأفعله؟! وأسوء من ماذا؟! لم أعرها بالًا وأكملتُ انتظاري.

عبرتُ الطريق المؤدي إلى المطار ككلِّ يوم،

إنَّهُ منقوشٌ في دهاليز ذاكرتي كل زاوية

وتفصيلة.

أتمكن من الاستمرار في تتبع هذا الطريق

حتى لو فقدت القدرة على الرؤية، فهو معتل

محفور داخل وجداني.

كان المكان مزدحمًا، وكان الجميع ينتظر قدوم الرحلة ليلتقوا بأحبَّاءهم، أثناء ذلك، أتت الرحلة المنتظرة، الجميع تقدَّم إلى الأمام ليلتقي بحبيبه أو صديقه أو عائلته، لكنَّني بقيتُ في الخلف، وبينما أراهم يستمتعون في تلك اللحظات، ينبض قلبي ويسأل بلا توقّف:

_وأنا... ماذا عني؟؟

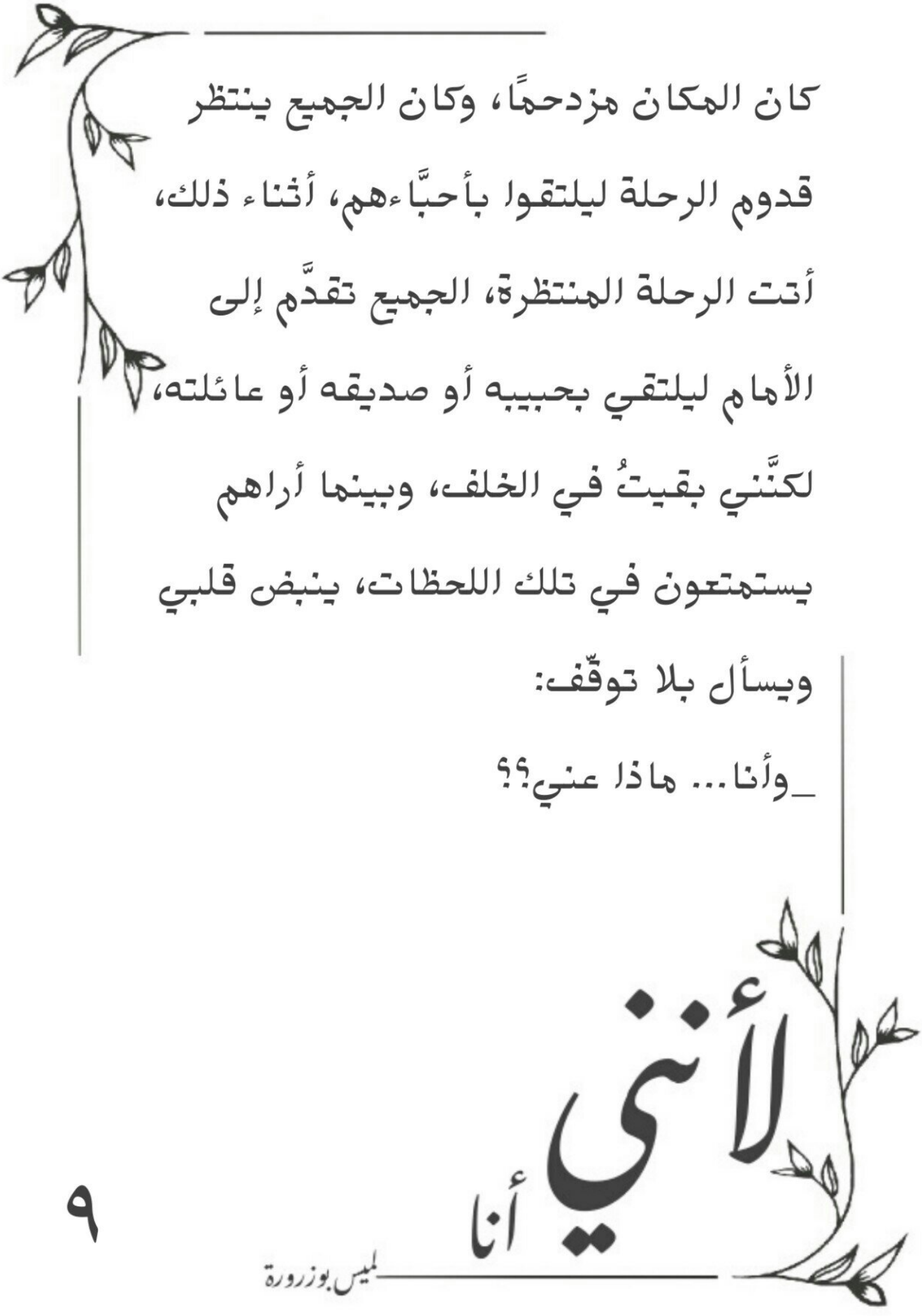

عدتُ إلى المنزل بكاملِ خيبتي، وعند عبوري عتبة المنزل، كما في كل مرة مع وردةٌ ذابلة وقلبٌ محطَّمٌ ودموعٌ تلهثُ للانسكاب.

رأيت أمي وهي تحتضن كتابها وتنظر إلي بعيونٍ تُعبِّرُ عن الحزن قائلة:

_ليلانا، حبيبتي، توقفي، لن يعود، لا ترهقي نفسك بهذا الألم.

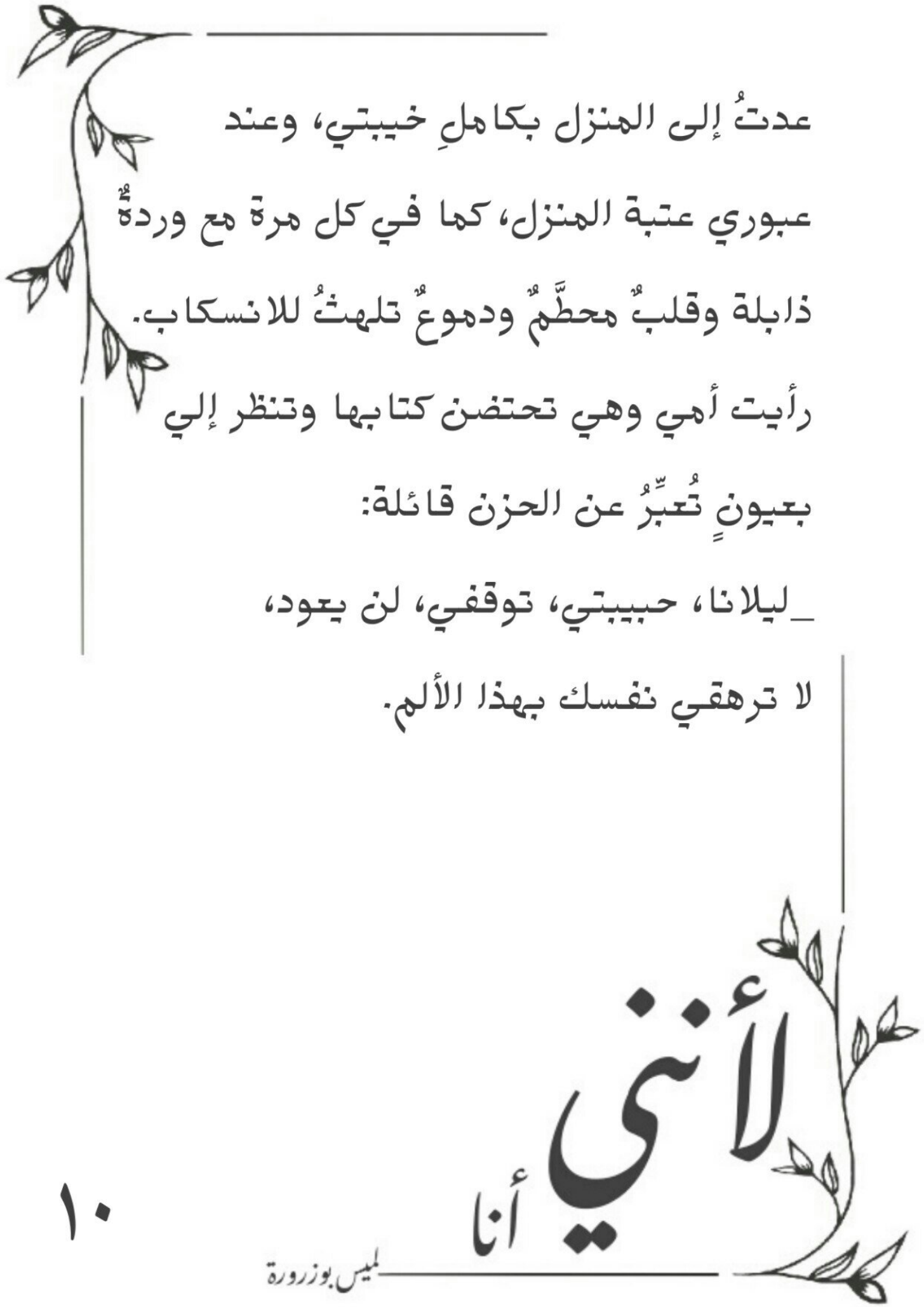

نزعتُ سترتي المبلَّلة بحزنِ الغيوم وقمتُ بتعليقها، ثمَّ خلعتُ حذائي وبصعوبةٍ..

شكَّلتُ ابتسامة على وجهي رغم أن عضلات وجهي عاجزة عن الحراك، وقلتُ لها بابتسامةٍ كاذبة:

_سيأتي يا أمي، سيأتي، أشعر بهذا.

تقدمتُ نحوها بخطواتٍ هادئة وقبَّلتُ جبينها بلطف، مُحدثةً إيَّاها برقَّة:

_حبيبتي أمي، وعدني أنَّه سيعود.

احتضنتني أمي بحنانٍ ثمَّ انهمرت دموعها بالبكاء، همست بكلماتٍ مؤلمة:

_عزيزتي، مضت خمسة سنوات ونصف، وأنت تذهبين إلى المطار سبعةِ مرَّات في الأسبوع، وثلاثون مرة في الشهر، وثلاثمائة وستون مرة في السنة. يجب عليكِ التوقُّف، حبيبتي، لو كان يحبك بصدق، لما جعلكِ تنتظرين كل هذه السنوات، عودي إلى رشدك، واهتمّي بنفسك، ستجدين من يستحقك أكثر منه.

بدأت نبضات قلبي تتسارع، وتوقَّفت أنفاسي على حد تصريح أمي، ثمَّ صرختُ بخوفٍ داخلي:

_لا، سأبقى أنتظره الحياة بأكملها، الحب يحتاج إلى تضحية.

صمتتُّ برهة ثمَّ أردفت:

_الحب هو الانتظار على جسرٍ مكسور لا تدري كم من الوقت ستبقى مُعلَّقًا.

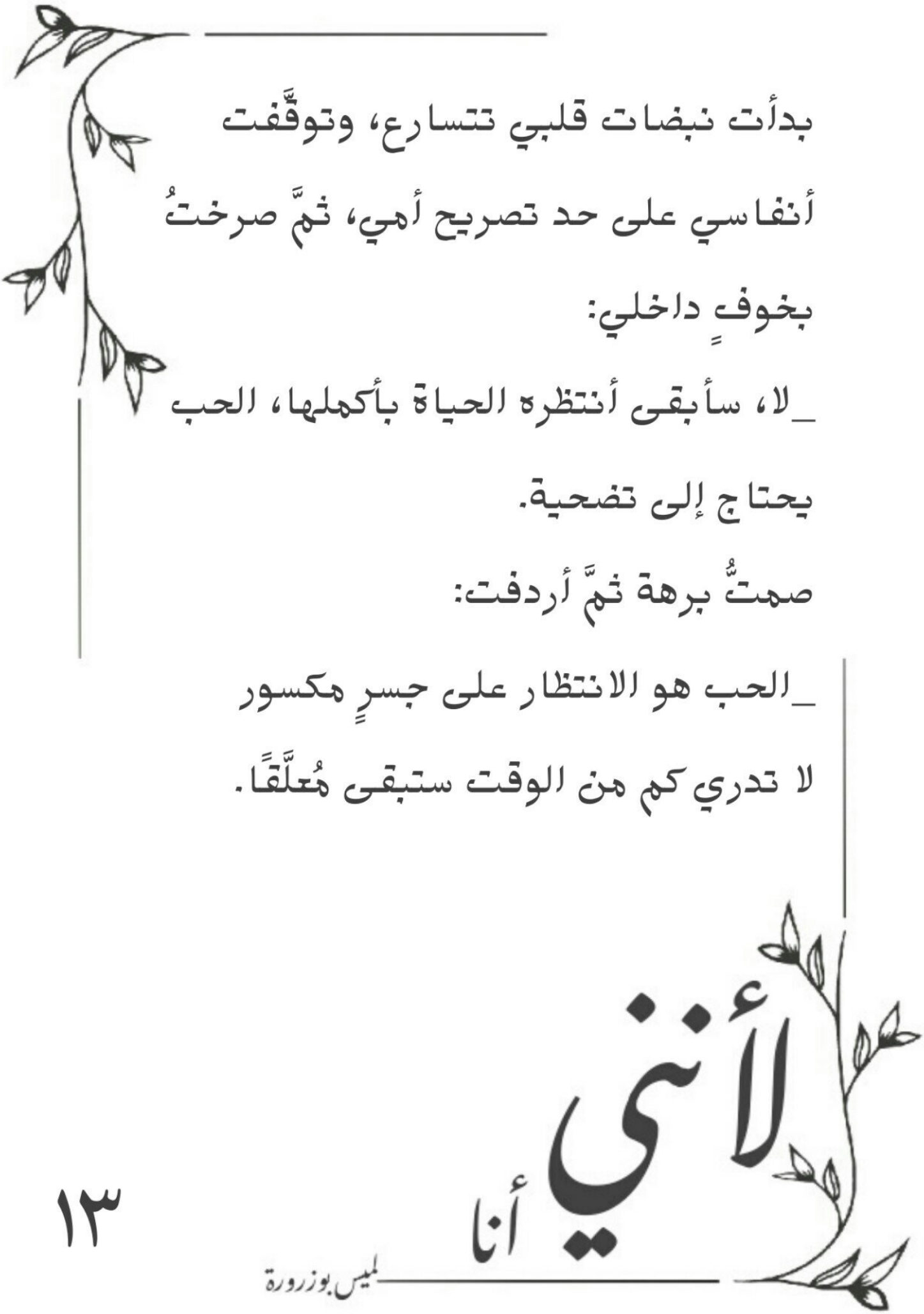

حملتُ أجزاء متفرقة من جسدي المتبقية ودخلتُ غرفتي، ألقيتُ بجسدي الثقيل على سريري بباقي أجزاءه، ثم أمسكتُ بهاتفي واتصلتُ برقمه الذي توقَّفَ عن العمل منذ يوم رحيله.

_أشعرُ بأنَّكَ حاضرٌ بالقربِ منّي، بكلِّ تفاصيلك وروحك.

ضممت جفني دون شعور وغفوت،
مُتراخيةً وسط ركام روحي المتناثرة.

"روحك مثقلة... أرى في وجهي ثباتٌ لم يتغير، بينما ملامح وجهك تشهد بشحوبةٍ وحزنٍ عميق"

هذه هي الكلمات التي يقولها لي في كلِ ليلةٍ ألقاه بعالمِ الأحلام.

فتحتُ عيناي، اصطدمَ الضوء الذي تسلل من بين الستائر بوجهي، شعرتُ بشعورٍ غريب يتسلل إلى داخلي، قلبي ينبضُ بسرعةٍ ويداي ترتعش، وجسدي يرتعدُ برجفة، وقلقٌ عميقٌ يعتليني بابتسامةٍ هيستيرية

نطقتُ بلهفة:
_سيأتي اليوم

فزززتُ من سريري نحو المرآة،

أمسكتُ بمشطي وبدأتُ بترتيبِ شعري

الجميل، رفعتُ أحمر الشفاه اللون

النبيذي بيدٍ مرتعشة، وقمتُ بتطبيقه

بحرفيةٍ عالية كعادتي.

خرجتُ إلى المطبخ فوجدتُ أمي تحضر لي الشاي:

_ليلانا، ما الذي حدث؟! ما هذا التغيير؟!

أجبتها و أنا أرتدي الكعب العالِ:

سيأتي اليوم، أشعرُ بذلك يا أمي، بل إنَّني واثقة كل الثقة.

ظهرت تعابير وجه أمي اليائسة مرة أخرى بعدما اعتقدت بأنَّني قد تجاوزتُ هذه المرحلة المرهقة، اقتربَت منّي وقدَّمت لي الشاي ثمَّ قبَّلت جبيني وانصرفت.

أنهيتُ الشاي واتَّجهتُ نحو المطار، كان قلبي ينبضُ بسرعةٍ تتسارع كالرياح.

وعندما وصلت، شعرتُ بقربِ روحه، شعرتُ بالفرحةِ والترقُّب، انتظرتُ لساعاتٍ طويلة، مضت حوالِ ستة ساعات انتظار، اشتريتُ له وردة وبقيتُ أجهِّزُ نفسي بلهفةٍ وشوق.

مزَّقَ التعب انتظاري لكن.. شدَّتني قوَّة وجوده، حتى رأيته بخطواتٍ ثابتة يتَّجه نحوي.

"ها هو ذا، برائحته الجذابة، إنّه هو"

اندفعتُ بسرعةٍ نحوه، لكن للحظة، توقَّفَ قلبي عن العمل وتفتَّتَ إلى أجزاءٍ عدَّة عندما شاهدت تلك المرأة معه، كانت تحتضنُ طفلًا رضيعًا، وكان هو يساعدها بحملِ الحقائب.

"ما الذي يحدث هنا؟ عزيزي، كنتُ أنتظرك أنتَ بمفردك فقط، من تكون هذه؟!"

اندفعتُ بسرعةٍ أكبر نحوه حتَّى يلحظ وجودي، اقتربتُ منه أكثر ثمَّ نطقت وأنا أحاول كبح دموعي:

_عزيزي، لقد عدت.. انتظرتك طويلاً.

قلتُ ذلك بلهفةٍ وبفرحةٍ مترددة، نَظَرَ إلي بوجهٍ متهجّم ثمَّ صرخ بي:

_ما الذي تفعلينه هنا؟ ماذا تريدين منّي؟

نظرتُ إليه بعيونٍ دامعة وقلبٌ مكسور، قائلة:

_لكنَّكَ كنتَ تحبّني و...

_ألم تدركِ بعد أيتها السخيفة؟

قاطعني بهذه الكلمات ثمَّ أردف:

_كنّا صغار، وأنا كنتُ ألهو نفسي فقط، في يومِ رحيلي كسرتُ شريحة الاتصال خاصتي حتَّى تفهمين هذا، لكنَّكِ غبية، اغربي عن وجهي.

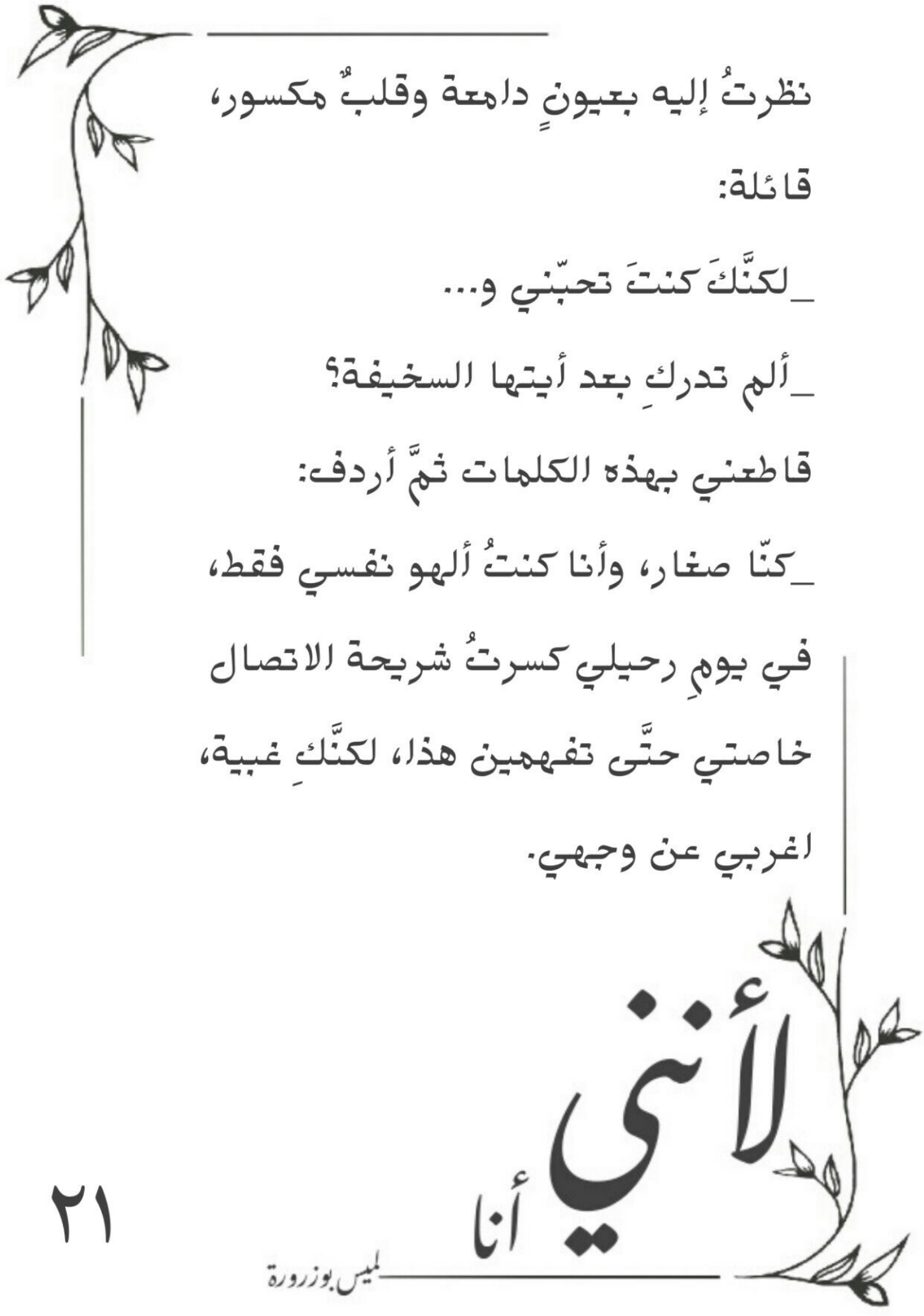

الضباب الكثيف يعصف برؤيتي، مما
يجعل الأمور تبدو غامضة ومشتَّتة
بعض الشيء.
_هل أنا مخمورة؟! هل أنا في حلم؟!
تساءلتُ بصوتٍ مرتعشٍ ومليءٌ
بالارتباك، في حين كانت يدي
تمسك المسدس بقوةٍ وتصوِّبُ نحوه

بلا تفكير، بلا رحمة أو شفقة، أطلقتُ
النار برصاصةِ الموت لتخترق رأسه
بوحشيةٍ صدعت أصواته المدرج
والدماء تنبعث بعنفٍ كالينابيع من
رأسه الثائر، هذه الأصوات الطنينة
توحي بالشياطين التي تأبى
السكوت.

ثمَّ صوَّبتُ مسدَّسي نحو تلك المرأة الجميلة، وببرودةٍ شيطانية،

أطلقتُ عليها دونَ تفكير، لتخرج رصاصتي من بيتِ النار مُسرعةً وتخترق جسدها بألمٍ مميت.

_لا ذنب لكِ، أعلمُ هذا لكن... فلتتذوَّقِ ألم ما مررت به.

رصاصةٌ تلوَ الأخرى، أفرغتُ مسدَّسي بها دونَ وعي، بمشهدٍ سوداوي، تناثرت دماؤها على وجهي، وصراخها الناعم كموسيقةٍ سوداء تمزجت مع أوهامي الدامية..

"يا لهذا الصراخ، فلتكونوا معزوفةٍ جميلةٍ لأوهامي"

لقد فعلتُ الأسوء كما قلتِ لي، وها أنا الآن أتقدم بدون عناء نحو هذه الجثتان الهامدتان، وجهي مغطَّى بأوصال الدماء المتناثرة، وصراخهما العذب يدوي في أذني كسمفونيَّةٍ شيطانية تعزف الرعب.

وفي تلك اللحظة،

بكاء الرضيع اجتاح أذني المضطربة،

وكأنَّهُ يرن في داخلي كصفعةٍ قويةٍ

تجعلني أتذكر خطاياي بوضوح مروع.

أقفُ الآن على الجسر الذي شهد وداعنا الأخير في تلك الليلة، أنظرُ إلى البحرِ بنظرةِ شوق قاتل

عندما شاهدته يتقدَّم ببطء مثل النهر الجارف ويمدُّ ذراعيه نحوي وكأنَّهُ يريد عناقي، لمحتُ فيه تحيّر الآلام المكبوتة، دون مراوغة، غمرتُ نفسي في ذلك الاحتضان الدافئ الذي كنتُ أتوق إليه لفترةٍ طويلة.

النهاية